



أمة وسطاً

(012) سورة يوسف

خطبة جمعة

2026-03-27

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هدايتك، وكيف نذل في عزك، وكيف نضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليمًا كثيراً. وبعد أيها الإخوة الكرام: ربما كان امرؤ يسكن في حمص، فهو في الوسط تقريباً بين دمشق وحلب، وهذه وسطية مكانية، ولربما كان امرؤ من الناس شجاعاً متعقلاً، فهو في الوسط بين التهور المذموم والجبن المرذول، وهذه وسطية أخلاقية، وقالوا: "الفضيلة وسط بين رذيلتين".

الوسطية الشرعية بين الغلو والتشدد:

ولربما كان تدبّر المسلم وسطاً بين غلو وتشدد بغير دليل، أو بسوء فهم لدليل، وبين تفريط وانحراف وتساهل، وهذه هي الوسطية الشرعية، بين الغلو والتشدد الذي لا يستند إلى دليل، أو يستند إلى سوء فهم الدليل، وبين التساهل والتسيب والتميع والانحراف بحجة الوسطية.

أيها الإخوة الكرام: يقول المولى جلّ جلاله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۖ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (143)

(سورة البقرة)

وسطية الإسلام، أو وسطية أمة الإسلام، من أخطر المصطلحات التي عبتَ بها أعداء الدين من جهة، وأدعياء الدين من جهة ثانية، فكان لزاماً أن نفهمها على النحو الصحيح، وأن نُفسرها في ضوء النصوص الشرعية الصحيحة، ووسطية هذه الأمة يعني أنها أمة على الحق بين باطلين، وأنها أمة خير بين شرين، وأنها عدل وسط بين طرفين ذميين متناقضين.

وسطية المنافقين:

أما وسطية المنافقين فمختلفة، تعني أن يأخذ المرء جزءاً من الخير وآخر من الشر، أن يقف في منطقة وسط، بين طاعة الله تعالى ومعصيته، يقول لك: أنا وسطي، فيقف بين الطاعة والمعصية، أو يقف في منطقة وسط بين الكفار والمسلمين، أو في منطقة وسط بين الملتزمين والمنحرفين، ويقول لك: أنا وسطي، أنا من أمة الوسط، فأنا أقف في الوسط، وكم أنشأوا مننديات من أجل هذه الوسطية الفاسدة، وكم عقدوا مؤتمرات من أجل هذه الوسطية الفاسدة، وكم يُحاك من مؤامرات، لإنشاء دين جديد بدعى هذه الوسطية الفاسدة، والله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2)

(سورة الكافرون)

ويعصف هؤلاء فيقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (143)

(سورة النساء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَتَجِدُونَ أَهْلَ بَيْتِكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا دِينَكُمْ وَيَتَوَلَّوْا إِلَى ظَهْرِ آلِهِمْ فَقَوْمُهُمْ كُلٌّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَلْيَقُومُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَتَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْلِبُوا دِينَهُمْ وَأَقْلِبُوا دِينَهُمْ حَيْثُ تَقِفُوهُمْ وَأُولَئِكَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (91)

(سورة النساء)

نحن في الوسط لا نريد أن نُثير الأعداء علينا، وفي الوقت نفسه نريد أن نكون مسلمين، فهذه أمة عظيمة، لا نريد أن نتخلى عنها، فنحن في الوسط، وهم في الحقيقة مُتطرفون، مستعدون عن الوسط.

بعض الأمور التي يفعلها البعض باسم الوسطية:

أُيها الإخوة الكرام: باسم الوسطية اليوم، يخرج علينا دعاة على أبواب جهنم، يجعلون الحجاب الذي فرضه الله على المرأة المسلمة، أدباً من آداب الإسلام، أدباً من هينات الإسلام، لا فريضة محكمة من فرائضه.

و باسم الوسطية اليوم، يخرج علينا من يعتبر شرب الخمر التي حرّمها الله بنصوص قطعية في كتابه، بل حرّمها في كل الشرائع السماوية الصحيحة قبل التحريف، يجعلها من باب الحرية الشخصية، ويقف مع من يبرد الحرية فيها، ويقول لك: نحن في وطن واحد، هذه حريتهم! يريدون أن يشربوا الخمر في أي مكان، ولو أمام ابني، ولو خرج ابني من المدرسة فرأى الخمر أمامه، هذه حرية شخصية لا مانع منها.

باسم الوسطية، نحن وسطيون، نريد أن نكون مع الجميع، و باسم الوسطية اليوم، يخرج علينا من يجعل الربا الذي توعّد الله مرتكبه بحرق من الله ورسوله، يجعله عقداً صحيحاً مادام مبنياً على التراضي بين الطرفين، وهل الزنى إلا مبنئ على التراضي بين الطرفين؟ فهل يُصبح زواجا؟!

وباسم الوسطية اليوم، يخرج علينا دعاة يُبيحون التَّبَخُّ والاختلاط الآثم، والعلاقة المُحرّمة بين الجنسين، تحت مُسمّى الصداقة والزمانة.

وباسم الوسطية، يخرج علينا اليوم من يتنازل عن حقوق الأمة، ومقدساتها، وثوابتها، وبداين الأعداء، ويُطعّ معهم، وبوالي المُجرمين، ويتنازل عن دينه إرضاءً لهم، لأنه وسطي، وهو في الحقيقة مُتطرف بعيد عن وسطية الإسلام.

الأمة الوسط لا تُجِلُّ حراماً كما أنها لا تُحرِّم حلالاً:

أُيها الإخوة الكرام: الأمة الوسط لا تُجِلُّ حراماً، كما أنها لا تُحرِّم حلالاً، لا تعد الأمة الوسط أبداً بحال، أن يُحلَّ حرام قطعياً ثابت حرّمته في كتاب الله تعالى، أو في سنّة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وسطية هذه الأمة تعني التزامها بأوامر ربّها، لكن دون تشدّد أو غلوّ، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْقَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ }
(أخرجه البخاري ومسلم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبَكُمْ إِتْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي
هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ
النَّصِيرُ(78)

(سورة الحج)

(إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ) وسطيته في يسره، لا في تيسيرنا له كما نريد، هو جاء يسراً، فوسطيته في أنه دين يسر، لكن ليس نحن من نقرر ترك بعض ما فيه تيسيراً على الناس، بل هو يسر كما جاء من الله تعالى، قاله تعالى هو من يُقَدِّرُ هذا اليسر (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا).
وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، وهذا أصل في تفسير الوسطية، قالت:

{ مَا خَيْرُ رَسُولٍ لِلَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَحَدٌ أَبْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِنْقَاءً، فَإِنْ كَانَ إِنْقَاءً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ
مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا أَنْ تُنْهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ }
(أخرجه البخاري ومسلم)

(ما لم يكن إنقائاً) هذا هو الشرط، (فإن كان إنقائاً كان أبعد الناس منه) وابتعاده عن الإثم يجعله في الوسط ولا يجعله في الطرف، لأنّ البُعد عن الإثم هو الوسطية.

الوسط ليس بين حلالٍ وحرام بل في الحلال نفسه:

أيّها الإخوة الكرام: الوسط ليس بين حلالٍ وحرام، الحلال هنا والحرام هنا وأنا أقف في الوسط، هذا ليس وسطاً هذا نفاق، هذا تنازلٌ عن دين الله تعالى، ولكن الوسط يكون في الحلال نفسه، ضمن دائرة الحلال، ما دام الله تعالى أباح هذا وأباح هذا، لي أن أخذ بالترخّص أو أن أخذ بالعزيمة، وكلاهما حلال، فلا بأس عندها أن أخذ باليسر، لأنّ الإسلام يسر وأنه دين الوسطية.

عن أنس رضي الله عنه قال: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

{ كَانَ يَصُومُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى تَرَى أَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يُفْطِرَ مِنْهُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى تَرَى أَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَصُومَ مِنْهُ شَيْئاً، وَكَانَتْ لَا تَنْشَأُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ
مُصَلِّياً إِلَّا رَأَيْتَهُ مُصَلِّياً، وَلَا نَائِماً إِلَّا رَأَيْتَهُ نَائِماً }

(أخرجه البخاري والترمذي وابن حبان)

(وَيُفْطِرُ حَتَّى تَرَى أَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَصُومَ مِنْهُ شَيْئاً) من غير شهر رمضان يُفطّر كثيراً، يُمضي أياماً وهو لا يصوم، حتى يُطلّق أنه لا يصوم نهائياً من النفل.

(يَصُومُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى تَرَى أَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يُفْطِرَ مِنْهُ) كما كان يفعل في شعبان، يصوم حتى يُطلّق أنه صام الشهر كله، إلا شيئاً يسيراً، (وَكُنْتُ لَا تَنْشَأُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّياً إِلَّا رَأَيْتَهُ مُصَلِّياً، وَلَا نَائِماً إِلَّا رَأَيْتَهُ نَائِماً) إن شئت أن تجده في ظلمات الليل، قائماً بين يدي الله تراه، وإن شئت أن تراه نائماً مُستغرقاً في نومه، يُعطي جسده حقّه رأيته كذلك، لأنّ ديننا ليس فيه غلوّ، ليس فيه تشدّد في العبادة، لأنه يسر مبنّي على اليسر.

{ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ وَجِبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: لَزَيْنَبٌ تُصَلِّي إِذَا كَسَلَتْ أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ

به قال: خُلُوهُ، ثُمَّ قَالَ: لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ إِذَا كَسِلَ أَوْ فَتَرَ فليَقْعُدْ }

(أخرجه البخاري ومسلم والنسائي)

ما دام يجد نشاطاً فليُصَلِّ (إِذَا كَسِلَ أَوْ فَتَرَ فليَقْعُدْ) انتهى.

إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ:

نحن أئمة الكرام في كل ركعة من ركعات صلاتنا، نسأل الله تعالى الوسط، كيف ذلك؟ ألا نقول في الفاتحة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)

(سورة الفاتحة)

أي تريد أن نكون من أمة الوسط، لسنا من الغالين المُتَشَدِّدين، الذين شَدَّدُوا فشدَّ الله عليهم وغضب عليهم، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، ولا تريد أن تكون من الضالين، أي من المُنْحَرِفِينَ الجافين الذين يتركون ما أمرهم الله تعالى به، فيضلُّون الطريق، تريد الوسط، لسنا من المغضوب عليهم الذين شَدَّدُوا وغالوا في دينهم، فحَرَّمَ الله عليهم ما حَرَّمَ من الطَّيِّبَات التي أحلت لغيرهم، لا تريد أن تكون منهم، ولا تريد أن تكون من الضالين، الذين يتركون أوامر الدين ويَمَيِّعون أحكامه، واليوم يُفَعِّلُ ذلك باسم الوسطية وهو الضلال بعينه.

أئمة الإخوة الكرام: يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعان - أي أمر أمره الله تعالى، للشيطان عليك فيه مدخلان - قال: إِمَّا إِلَى تَغْرِيطٍ وَإِضَاعَةٍ، أمر بقيام الليل، سُئِلَ مؤكدةً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الشيطان هُنا يأتي من مدخلين، المدخل الأول التفريط والإضاعة، أنت أدبيت الفرائض ولا شيء عليك، ولا داعي للقيام ولا داعي لأي شيء آخر من النوافل، فيُفَرِّط وتُضَيِّع هذه السُنَّة العظيمة، هذه النزعة الأولى، المدخل الأول للشيطان، قال: إِمَّا إِلَى تَغْرِيطٍ وَإِضَاعَةٍ وَإِمَّا إِلَى إِفْرَاطٍ وَغُلُوٍّ - يقوم الليل ويتعب، ويذهب في الصباح إلى عمله غير صاح، فلا يستطيع أن يُحْتَضِل قوت عياله، ولا يستطيع أن يكون في الوقت المُحدَّد للدوام، ويُقَصِّر في واجباته، نزعان: إفراطٌ وتفريط، قال: إِمَّا إِلَى تَغْرِيطٍ وَإِضَاعَةٍ وَإِمَّا إِلَى إِفْرَاطٍ وَغُلُوٍّ، ودين الله هو الوسط بين الجافي عنه - هؤلاء الضالون - والغالي فيه وهؤلاء المغضوب عليهم".

فكما أنَّ الجافي عن الأمر التارك له مُضَيِّعٌ للأمر، فكذلك الغالي فيه مُضَيِّعٌ له، هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد، فلا تُقَصِّر عن الحد الذي شرعه الله، ولا تتجاوزَه إلى التمتع والتشدد، وكما قال صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغُلُوا فِيهِ بِرَفْقٍ }

(الألباني صحيح الجامع)

{ لَا تَشَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتَلَكَ بِقَابَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالذِّبَابِ

{ رَهْبَانِيَّةٌ ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ } [الحديد الآية 27]

(أخرجه أبو داود وأبو يعلى والبيهقي المقدسي في الأحاديث المختارة)

بعض الأدلة في القرآن الكريم والسنة على مفهوم الوسطية:

أيها الإخوة الكرام: والأدلة على هذا المفهوم في الوسطية كثيرة في كتاب الله تعالى وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67)

(سورة الفرقان)

هناك حدٌ وسطٌ للإنفاق، ليس فيه إسرافٌ تتجاوز فيه الحد، ولا إقتارٌ تُقصر فيه عن الحد، هناك منطقة بين خطين نتحرك فيها، لا تتجاوز الحد فيكون الإسراف ثم التذير، ولا ننقص عنه فيكون البخل والإقتار، والشخ المذموم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ۖ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (110)

(سورة الإسراء)

لا يُرفع الصوت، ولا يُخفص ويُخفت، وإنما يكون عدلاً وسطاً بين طرفين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَجْعَلْ بَدَنَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (29)

(سورة الإسراء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَابْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ تَصِيَّتَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77)

(سورة القصص)

نحن أمة الإسلام، نحن أمة الغيب، نؤمن بالغيب، لكن ليس عندنا غلظ، بمعنى أن إيماننا بالغيب يجعلنا نترك عالم الشهادة، بنو إسرائيل كانوا أمة الشهادة فحسب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَقُّوهُنَّ عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا (153)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55)

(سورة البقرة)

كان منهم من قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112)

(سورة المائدة)

يتعاملون بمنطلق الشهادة، نريد كل شيء أن نراه بأعيننا، ولما قيل لهم اذبحوا بقرة، بدأوا يتحايلون على الأمر، يريدون أن يعرفوا ما علاقة ذبح البقرة بكشف الجريمة التي وقعت، ما هي؟ ما لونها؟ ما هي؟ حتى قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71)

(سورة البقرة)

هذه أمة تؤمن بالشهادة، نحن أمة الإسلام نحن أمة الغيب، لكن في الوقت نفسه نحن لا نعيش الغيب فنترك عالم الشهادة، وإنما نعيش الشهادة نأكل، ونشرب، ونتزوج، كما أوصى النبي صلى الله عليه وسلم، لكن عيوننا مُتَطَلِّعَةٌ إِلَى الْغَيْبِ، فنعمل من أجل الآخرة، ولا نتترك العمل في الدنيا، وهذه هي الوسطية، بين شهادة في كل شيء، وبين غيب بتركنا بعيدين بعداً عن الدنيا وما فيها، وزهد ليس هذا مكانه، وليست هذه صيغته الصحيحة، فجعل دين الإسلام الإنسان بين المادية المقيتة، وبين الغيب الذي ينتظره في منطلق وسط، هذه هي الوسطية.

في كل علاقاتنا لا نرفع من نتعامل معه إلى مستوى مُعَيَّن ولا نجعله عُرضَةً لكلام الناس:

أُثِمَّا الإِخْوَةُ الْكَرَامُ: وهذا ينطبق على كل شيء في حياتنا، بدءاً بالأنبياء، من أتباع الرُّسُل من قَتَلُوا الرُّسُلَ، وأعرضوا عن أوامرهم، وانتقصوهم، وأقرأ في بعض تفاسيرنا للأسف، ما يُذكر عن أنبياء بني إسرائيل، من انتفاص لقدمهم، وثَّقَل من كُتِبَ الإِسْرَائِيلِيَّاتِ دُونَ تَمْحِصٍ، تجد العَجَبُ العَجَاب، وكأنه ليس نبي، يقولون عنه أشياء لا تقبل أنت أن تُقال عن والدك أو عنك، وفي المقابل هناك من عَالَا في الأنبياء حتى عبدوهم من دون الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۚ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)

(سورة التوبة)

وَادْعُوا الْأُلُوهِيَةَ لِأَنْبِيَائِهِمْ، وَادْعُوا أَنَّهُ ابْنُ الْإِلَهِ.
فالموقفان موجودان، لكن أمة الإسلام تقول لك: لا، الأنبياء بشر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ۚ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)
(سورة الكهف)

لا نرفعهم على مستوى الألوهية، وحاشا أن ننتقص من قدرهم، أو أن نقول عنهم بسوء، فهم معصومون، هذه هي الوسطية.
هذا ينطبق على العلماء من زاوية مُعَيَّنَةٍ، فنحن عندما نتحدث عن عالم من العلماء، من الماضي أو من الحاضر، فلا نرفعه إلى مستوى العصمة إلى الأنبياء وأكثر، ربما كما يفعل البعض مع أشياخهم، ولا ننتقص من قدره لزلّة زلها، بل نضعه في المكان الوسط.
في علاقتنا مع الحُكَّام، نحن لا نرفع الحاكم إلى مرتبةٍ عليّة، بحيث لا يُجيز أن يُخطئ، وإن تكلم أحدٌ أمامنا أنه أخطأ، أقمنا الدنيا، لا يُخطئ! بل هو بشرٌ يُخطئ، وفي الوقت نفسه نحن لا نعتمد أخباراً ضعيفة، أو واردةً هنا وهناك لننال منه ومن الحكومة، ولنتحدّث عنهم بسوءٍ ولنُفَسِّل تجربتهم، ولنتنقص قدرهم، ولنحاول قدر الإمكان أن نُعَيِّق حركتهم، لا، نحن نؤمن بأنهم بشرٌ يُخطئون ويُصيبون، من الحاكم إلى المحكوم، وأنَّ واجب النصيحة مطلوب، وأن الدين النصيحة، وأنا لا يمكن أن نكون داعمين لهم إن لم ننصح لهم، إن لم ننصح للحاكم فنحن لا ندعمه حقيقةً، هذا ليس دعماً.

{ انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قالوا: يا رسول الله، هذا تَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فكَيْفَ تَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قال: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ }
(أخرجه البيهقي والترمذي وأحمد)

تقول له: قف هذا خطأ، حتى تنصره.
ففي كل علاقاتنا، لا نرفع من تعامل معه إلى مستوى، بحيث لا يُخطئ ولا نقبل خطأً، وإن وقع برّزناه بألف تبرير وتبرير، ولا نجعله عُرضَةً لكلام الناس بدليل أو بغير دليل، لينال منه من شاء، ثم نفشل جميعاً وتذهب ربحنا، هذه هي الوسطية أيها الكرام: أمّا عندما تُفهم الوسطية على خلاف ذلك فهذه مصيبة المصائب.

كيف يتحقق التوازن في الوسطية:

أيها الكرام: كان عبد الله بن عمر بن العاص يقول: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً" كيف يتحقق هذا التوازن؟ هذه هي الوسطية، عندما تعمل في الدنيا وأنت تستصحب الآخرة، وتستصحب الغيب، عندما تعمل في الدنيا لا تقول غداً أموت، غداً أموت فلا داعي لئن تعمل، لا داعي لئن تُطور تجارتك، لا داعي لئن تُتقن عملك.

{ إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدٍ أَدْرِكُكُمْ فَسَبِيلُهُ فَلْيَعْرِسْهَا }
(أخرجه البخاري وأحمد)

اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، كأنك لن تموت، تُتقن العمل، تُهيئ أسبابه، تُحاول أن يكثر دخلك، وأن تدفع زكاة مالك، اعمل لدنياك.
قال: واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، كيف لو أنّ إنساناً قيل له هذا آخر يومٍ في حياتك، ما الذي يفعله؟ لا بُدَّ من قيام الليل، لا بُدَّ من صيام النفل، لا بُدَّ من الصدقة، لا بُدَّ من العمل الصالح، هذه هي الوسطية بين الدنيا والآخرة.
وكان صلى الله عليه وسلم يقول:

{ أَحِبِّ حَبِيبَكَ هَوًّا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغَضَ بَغِيضَكَ هَوًّا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا }
(أخرجه الترمذي والطبراني والبرابر)

وهذه في الوسطية في التعامل مع الناس، الأولى في الوسطية بين الدنيا والآخرة، وهذه في الوسطية في التعامل مع الناس (أحييت حبيبتك هؤنًا ما عسى أن يكونَ بغيضك يومًا ما وأبغض بغيضك هؤنًا ما) لا تُبالغ في البُغض والكراهة، ولا يمكن أن التقى معه، ولا أن أقف معه، وهؤلاء مجرمون، ثم بعد حين تجده معه في مكانٍ واحد، طبعاً إلا البُغض لأعداء الدين، لكن أخوك المؤمن (وأبغض بغيضك هؤنًا ما عسى أن يكونَ حبيبتك يومًا ما).

أيها الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسِبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنَّ مَلَك الموت قد تخطَّنا إلى غيرنا وسيتخطَّى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، الكيِّس من دان نفسه وعمل لقا بعد الموت، والعاجز من اتَّبع نفسه هواها وتمتَّ على الله الأمانى، واستغفروا الله.

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.

اللهم برحمتك غمَّنا، واكفنا اللهم شرًّا ما أهُمَّنَا وأغمَّنا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنَّة توقُّنا، نلُفَّاك وأنت راضٍ غنَّا.

اللهم اغفر لنا ما قدَّمنا وما آخَرنا وما أسررنا وما أعلَّنا وما أنت أعلم به مِنَّا، أنت المُقَدِّم وأنت المؤخِّر وأنت على كل شيءٍ قدير.

اللهم إنَّا نسألك الجنَّة وما قرَّب إليها من قولٍ وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قولٍ وعمل.

اللهم لك الحمد على ما أنعمت به علينا من نعمة الغيث من السماء، ومن نعمة جري الأنهار وإنبات الأشجار.

اللهم إنَّا نسألك أن تُديم نِعَمَك علينا وأن تُلهِمنا شُكرها، اللهم ألهِمنا الشُّكر يا أرحم الراحمين وتقبَّله مِنَّا يا كريم.

اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

اللهم إنَّا نسألك أن تُنعش قلوبنا برحمتك كما أنعشت الأرض بمائك يا أرحم الراحمين.

اللهم يا أكرم الأكرمين كُنْ لهذه البلاد، اللهم أقمنا في أوطاننا، اللهم اجعل هذه البلاد آمنةً رخيَّةً سخيَّةً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم يا أرحم الراحمين كُنْ لأهلنا المُستضعفين في عِزَّة وفي فلسطين وفي كل مكان، عوناً ومُعِيناً، وناصرراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً.

اللهم أقم خائفهم، وأطعم جائعهم، واكس عريانهم، وارحم مُصابهم، وأو غريبهم.

اللهم عليك بقرن ظلمهم، اللهم عليك بالصهاينة المُعتدين فإنهم لا يُعجزونك، اللهم اجعل تدميرهم في تدبيرهم، واجعل دائرة السوء تدور عليهم، وصلِّ وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله ربِّ العالمين.